ÇUKUROVA ÜNİVERSİTESİ
İLAHİYAT FAKÜLTESİ DERGİSİ
Journal of the Faculty of Divinity of Çukurova University

Cilt / Volume: 24 • Sayı / Issue: 1 • Haziran / June 2024 • 95-113
e-ISSN: 2564-6427 • DOI: 10.30627/cuilah.1430476

مدينة دمشق في روايات خيري الذهبي

Hayrî ez-Zehebî'nin Romanlarında Şam Şehri

The City of Damascus in the Novels of Khairy Al-Dhahabi

Mohamad ALAHMAD

Doç. Dr., Gümüşhane Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı, Gümüşhane, Türkiye
Assist. Prof., Gumushane University, Faculty of Theology, Department of Arabic Language and Rhetoric, Gumushane, Türkiye
mohamadalahmad@gumushane.edu.tr https://orcid.org/0000-0002-3690-236X

Makale Bilgisi/Article Information
Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi/Research Article
Geliş Tarihi/ Received: 02.02.2024
Kabul Tarihi/Accepted: 25.06.2024
Yayın Tarihi/Published: 30.06.2024
İntihal Taraması/Plagiarism Detection: Bu makale, en az iki hakem tarafından incelendi ve intihal içermediği teyit edildi/This article has been reviewed by at least two referees and scanned via a plagiarism software.
Etik Beyan/Ethical Statement: Bu çalışmanın hazırlanma sürecinde bilimsel ve etik ilkelere uyulduğu ve yararlanılan tüm çalışmaların kaynakçada belirtildiği beyan olunur/It is declared that scientific and ethical principles have been followed while carrying out and writing this study and that all the sources used have been properly cited (Mohamad Alahmad)
Telif/Copyright: Çukurova Üniversitesi İlahiyat Fakültesi/Published by Çukurova University Faculty of Divinity, 01380, Adana, Türkiye. Tüm Hakları saklıdır / All rights reserved.

مدينة دمشق في روايات خيري الذهبي

Hayrî ez-Zehebî'nin Romanlarında Şam Şehri

The City of Damascus in the Novels of Khairy Al-Dhahabi

الملخّص

توقف هذا البحث عند مدينة دمشق في روايات خيري الذهبي، ورصد فيها بناء المكان الدمشقي، ولا سيما أحياء دمشق وما تضمنته من شوارع ودكاكين ومساجد وأماكن عامّة، والبيت الدمشقي الذي وصفه الروائي بنمطيه القديم والحديث. وتتبع البحث أسماء المجتمع الدمشقي الروائي، ورصد البحث أهم الأزياء والملابس لدى هذا المجتمع، ومعتقداته، وأطعمته وأشربته، والأمثال التي دارت على ألسنة أفراده، والعادات والتقاليد التي برزت لدى أفراده. وتم الوصول إلى عدة نتائج، أهمها: أن مدينة دمشق شكّلت المركز الذي دارت حوله مجمل الأحداث التي تضمنتها روايات الذهبي، وبدا الروائي حريصًا على تقديم مدينة دمشق على نحو يكاد يطابق الواقع، وبدا أنّه يريد أن يحفظ هذه المدينة روائيًّا كي يتسنى للقارئ المعاصر معرفتها، وكي يتمكّن القارئ المستقبلي من تكوين صورة واقعية عن هذه المدينة خلال مئة عام تمتد من أوائل القرن العشرين حتى أوائل القرن الحادي والعشرين.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الرواية، مدينة دمشق، خيري الذهبي.

Öz

Bu araştırma, Hayrî ez-Zehebî'nin romanlarında Şam şehri üzerinde durmuş ve bu romanlarda Şam'ın yerinin inşasını, özellikle Şam'ın mahallelerini, sokaklarını, dükkânlarını, camilerini, halka açık yerlerini ve yazarın klasik ve modern üslubuyla anlattığı Şam evlerini gözlemlemiştir. Araştırmada, romandaki Şam halkının isimleri ve Şam ehlinin en önemli kılık kıyafetleri, bu halkın inançları, yiyecek ve içecekleri, mensuplarının dillerinde dolaşan atasözleri ve mensupları arasında ortaya çıkan gelenek ve görenekler izlenmiştir. Araştırma neticesinde birçok sonuca ulaşılmıştır. Bunlardan en önemlileri; Şam şehrinin, Zehebî'nin romanlarında yer alan tüm olayların etrafında gerçekleştiği merkezi oluşturduğu ve yazarın, Şam şehrini neredeyse gerçeğe uygun bir şekilde sunmaya çalıştığı, çağdaş okuyucunun bu şehri tanıyabilmesi ve gelecekteki okuyucunun yirminci yüzyılın başlarından yirmi birinci yüzyılın başlarına kadar uzanan yüz yıl boyunca bu şehrin gerçekçi bir resmini zihninde oluşturabilmesi için bu şehri romansal olarak korumak istiyor oluşudur.

Anahtar Kelimeler: Arap Dili, Roman, Şam, Hayrî ez-Zehebî.

Abstract

This research delves into Hayri al-Dhahabi's novels, specifically focusing on the portrayal of Damascus, including its neighborhoods, streets, shops, mosques, public places, and houses. The study explores the names, costumes, beliefs, food, drinks, proverbs, and traditions of the people of Damascus as depicted in the novels. The findings reveal that Damascus is as the central backdrop for all events in al-Dhahabi's works, portrayed with a blend of classical and modern styles. The author aims to present Damascus realistically, allowing contemporary readers to recognize the city and future readers to understand its historical evolution from the early 20th to the early 21st century. Ultimately, al-Dhahabi endeavors to safeguard the essence of Damascus through his novelistic portrayal, fostering a vivid and authentic mental image for readers.

Keywords: Arabic Language, The Novel, The City of Damascus, Khairy Al-Dhahabi.

مدخل

ثمّة علاقة وثيقة بين الرواية العربية والمدينة، والعلاقة بينهما هي علاقة تواصل لا تخلو منها معظم الروايات العربية. وحضور المدينة في الروايات العربية متنوع ومتفاوت بين مدن متخيلة ينسجها الروائي من وحي خياله كما في رواية "شرق المتوسط" للروائي عبد الرحمن منيف، وأخرى ينسجها الروائي على نحو يطابق الواقع أو يكاد كما في رواية "شقة على شارع النيل" للروائي أحمد زياد مُحبّك؛ فيرسم عالم المدينة الواقعي بأحيائه وأماكنه العامة والخاصّة على نحو يحافظ فيه على واقع هذه المدينة، ويقدّم نماذج شخصيّات تماثل شخصيّاتها وما تمتاز به من أفكار وعادات وأنماط ثقافية وألبسة وأطعمة وأشربة وغيرها.

ويلحظ الباحث أن كثيرًا من الروائيين العرب لم يكتف بجعل المدينة مجرد إطار تتحرك فيه الشخصيات في روايته، بل منحها دور البطولة[1]، وجعلها فضاء لإبراز بطولتها، الفضاءُ الّذي "لا يخضعُ للمعنى، إنّما يمضي مع المعنى في سياقٍ واحد، إنّه ناتِجٌ حتْمًا عن تغيير موقف الإنسانِ من الواقع، غير أنّه على مستوى النّصّ لا يظهر تابعًا لأيّ مضمون أو موقفٍ سابقٍ عليه، لأنّه هو نفسُه يصبح مصدر المعنى أو على الأصحّ مصدر المعاني المتعدّدة اللاّمحدودة".[2]

ومدينة دمشق إحدى المدن البارزة التي حازت دور البطولة في غير عمل روائي عربي؛ إذ برزت بوصفها مدينة عظيمة بعراقتها وتاريخها الأصيل، وأبنيتها المتميزة، وبدا من خلال هذه الروايات مدى حب الروائيين وتقديرهم لهذه المدينة العظيمة. والحقيقة أن بروز هذه المدينة في الروايات العربية ليس حدثًا طارئًا، فقد برزت مدينة دمشق في الأدب العربي شعره ونثره على مرّ العصور؛ لأهمية هذه المدينة العريقة في تاريخ الإنسان عامّة والإنسان العربي خاصّة. وما قامت به الرواية العربية سوى ما يتوجّب القيام به إزاء هذه المدينة، وما فعلته سوى متابعة ما قامت به وماتزال الأجناس الأدبية العربية الأخرى.

لقد ألهمت مدينة دمشق العريقة أقلام كثير من الروائيين العرب[3]، فانطلقت تخطّ بحروف من ذهب رسم هذه المدينة بمختلف تفاصيلها، وتصف سكّانها بمختلف طبقاتهم وانتماءاتهم. والروائي خيري الذهبي أحد أهم الأدباء الذين أولوا هذه المدينة أهمية في أدبه الروائي، فوصف المكان فيها، ووقف على أحيائها وحدائقها ومساجدها، وقدّم عرضًا تفصيليًا للبيت الدمشقي بأشكاله، وعرّف القارئ بالهوية الثقافية لها، فقدّم سكّانها ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأطعمتهم وأشربتهم وطريقة تفكيرهم وغيرها من تفصيلات تخصّ هذه المدينة.

1. نظرة تاريخية في النشأة والتسمية

تقع دمشق جنوب سوريا في الجهة الغربية من حوض دمشق وتحديدًا في واحة الغوطة. ومدينة دمشق مدينة سورية تأسست عام 9000 ق.م، وتعد العاصمة الإدارية والسياسيّة للجمهورية السورية.

وثمّة رويات متعدّدة تتحدّث عن تسميتها، منها: أنها سمّيت بهذا الاسم بسبب موقعها الجغرافي الواقع في سهل خصيب يرويه نهر بردى فدمشق لفظ سامٍ معناه الأرض المسقية، ورجح البعض أنّها سميت دمشق لأن أبناءها أسرعوا في بنائها، فكلمة دَمْشَقَ تعني أسرع في اللغة العربية، وهو ما ذكره ابن عساكر في قوله: "وأما دمشق فيقال إنها من دمشق وناقة دمشق أي سريعة ... ويقال دَمْشَقَ الضربَ دَمْشَقَةً إذا ضرب ضربًا سريعًا خفيفًا ... دمشق فعل من قول العرب ناقة دَمْشَقَ الخطو إذا كانت خفيفة الخطو".[4] ورأى آخرون أنّ اسمها مشتق من كلمة دُومَشْكَس الذي معناه الرائحة الطيبة أو المسك.[5]

---

[1] منهم الروائي نجيب محفوظ الذي جعل مدينة القاهرة بطلة روايته "القاهرة الجديدة"، والروائي أحمد زياد مُحَبّك الذي جعل مدينة حلب بطلة روايته "شقة على شارع النيل"، والروائي وليد إخلاصي الذي جعل مدينة حلب أيضًا بطلة روايته "السيرة الحلبيّة".

[2] ألبريس ر. م.، *الاتّجاهات الأدبيّة في القرن العشرين*، ترج. جورج طرابيشي، ط1 (بيروت: منشورات عويدات، 1965)،17.

[3] منهم الروائي فواز حدّاد في روايته "موزاييك دمشق"، والروائية غادة السمّان في روايتيها: "وداعًا يا دمشق" و"الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية".

[4] أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق*، تحق. محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995)، 1/ 19.

[5] ابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق*، 1/ 20-21.

ومن أقدم الوثائق التي ذكرت فيها دمشق على مرِّ التاريخ رُقم مدينة إيبلا العائدة إلى حوالي عام 2000 ق.م، إذ وردَ ذكرها تحتَ مُسمّى داماسكي. وجاء ذكرها أيضًا أكثرَ من مرَّة في النصوص المصريّة القديمة، ومن أبرزها ألواح تحتمس الثالث العائدة إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حيثُ ذكرت باسم تيمساك، وفي رسائل تل العمارنة باسم تيماشكي. وفي الفترات التي تبعت ذلك تعاقبت عدة أسماء عليها مع كل دولة جديدة كانت تحكم المنطقة، فأطلق عليها الآشوريون دَمَشْقا وأحيانًا استخدموا اسم إيميري شو أيضًا، والآراميون كانوا يُطلقون عليها اسم ديماشقو، كما ورد اسمي دارميساك أو دارميسيق في بعض النصوص الآرامية الذي قد يَعني الدَّار أو الأرض المسقية أو المكان الوافر بالمياه أو أرض الحجر الكلسي، ومنه هذا الاسم عُرفت في اللغة اللاتينية، ومنها اللغات الأوروبية المعاصرة ببعض التحريف في النطق ليُصبح باللاتينية داماسْكُس (Damascus).[6]

واستعملت كلمة شام للإشارة إلى مدينة دمشق فهي أحد أسمائها الكثيرة والاسم المرادف لها على مر العصور، واستخدم أيضًا اسم شام شريف الذي أطلقه عليها العثمانيون تقديسًا لها، واسم قصبة الشام الذي استعمله عدد من المؤرخين والجغرافيين المسلمين، وجلق الشام الذي أطلقه الغساسنة، وشامة الدنيا والشام العدية والشآم والفيحاء، ومدينة الياسمين وغيرها من الأسماء[7]. أما مناطق مدينة دمشق الإدارية فهي: دمر والقابون والمزة وبرزة وجوبر والقنوات وركن الدين والميدان وكفر سوسة وساروجة والقدم واليرموك والشاغور والصالحية والمهاجرين ودمشق المدينة. ويتكلّم السكان في مدينة اللغة العربية، فهي لغتهم الرسمية، ويدين معظمهم بدين الإسلام، وهناك فئة قليلة من المسيحيين.[8]

2. تعريف بالروائي خيري الذهبي

خيري الذهبي روائي سوري من مواليد دمشق عام 1946، تخرّج في جامعة القاهرة، قسم اللغة العربية وآدابها سنة 1968، وأقام بعد ذلك في ألمانيا فترة من الزمن تفرغ خلالها للأدب، ثم عاد بعدها واستقرّ في دمشق وعمل في التدريس حتى إحالته على التقاعد عام 1991. تفرغ بعد ذلك لكتابة الدراما التلفزيونية والترجمة، وبعد أن تأسست الهيئة العامة السورية للكتاب أُسندت إليه مهمة مدير مديريّة التأليف والنشر فيها، بالإضافة إلى رئاسة تحرير سلسلة "آفاق ثقافية".

وخيري الذهبي كاتب متعدد الاشتغالات في الأدب، فبالإضافة إلى تألقه في الكتابة الروائية، له كتابات في مجالات أخرى. ولعلّ إبداعه في القصة القصيرة يأتي في مقدمتها. وأعماله على النحو الآتي:

الروايات:

ملكوت البسطاء (1975).

طائر الأيام العجيبة (1977).

ليال عربية (1980).

الشاطر حسن (1982).

المدينة الأخرى (1983).

ثلاثية التحولات: حسيبة (1987)، و فياض (1989)، وهشام (1997).

فخ الأسماء (2003).

لو لم يكن اسمها فاطمة (2005).

صبوات ياسين (2006)

[6] المغترب السوري، ماذا قالت إيبلا عن دمشق http://www.syria-in.com/?page=4&click=3&cat_id=37&id=2076 12:16 24 أيار 2024.

[7] عكس الاتجاه نيوز، ما معنى مصطلح بلاد الشام https://aksaletgah.com/archives/88353. 01:24 24 أيار 2024.

[8] ابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق*، 1: 9.

رقصة البهلوان الأخيرة (2008)

الإصبع السادسة (2013)

خرائب اليازجي الأخير (2018)

المكتبة السرية والجنرال (2018)

القصة:

سطوح جباتا والحمائم (1980)

الجد المحمول (1993).

الكتب:

التدريب على الرعب (مقالات مختارة) (2004).

محاضرات في البحث عن الرواية (بحوث) (2016).

300 يوم في إسرائيل (2019)

عود ثقاب قرب حقل جاف (2022)

بالإضافة إلى كتاباته في الدراما التلفزيونية والسينما.

توفي خيري الذهبي في 5 تموز عام 2022 في باريس.[9]

3. بناء المكان الدمشقي

المكان مكوّن مركزي في السرد الروائي، وله "أهمية كبرى في تأطير المادة الحكائية وتنظيم الأحداث والحوافز"[10] وعنصر المكان يدخل مع مكوّنات الرواية الأخرى في علاقات متعددة، "وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها، يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به داخل السرد"[11]. ويتخذ المكان في الحكي أشكالًا متعددة، ويحتوي على معان كثيرة، وقد يكون المكان – في بعض الأحيان – هو هدف الرواية.[12]

ولا بدّ للروائي خلال بنائه المكان من أن يجعله "منسجمًا مع مزاج وطبائع شخصياته وأن لا يتضمن أية مفارقة، وذلك لأنه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكان بنية المكان الروائي أن يكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها"[13]، ويخلق المكانُ "الفضاءَ الذي تتحرك فيه الكائنات، وليس الفضاء مجالًا مُحايثًا للإنسان، أو مسألة خارجية، أو تجربة ذاتية، إنه أكثر التصاقًا به؛ إذ لا يستطيع الاستقلال عنه، ومن هنا تكتسب الأماكن خصوصيتها من خلال تفاعل الإنسان معها، فلا مكان مقدسًا أو مدنسًا إلا

---

[9] محمد الأحمد، *مكونات السرد وتقنياته في روايات خيري الذهبي* (إسطنبول: كتابي، 2021)، 10-12.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا، خيري الذهبي،
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%8A%D8%B1%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A
8 يناير 2023 الساعة 18:59

[10] حسن بحراوي، *بنية الشكل الروائي*، ط2 (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2009)، 20.

[11] بحراوي، *بنية الشكل الروائي*، 26.

[12] بحراوي، *بنية الشكل الروائي*، 29.

[13] بحراوي، *بنية الشكل الروائي*، 30.

بقدر ما يفرضه الوعي البشري من دلالات تكتنف الأماكن، وتسبغ عليها أبعادًا تجريدية ترتهن إلى اللغة أكثر من ارتهانها إلى التجربة"[14]، فالبيئة المكانية الموصوفة تؤثر في الشخصية، وتتأثر بها، وتدفعها للقيام بأحداث تتناسب معها. ووصف المكان يوحي بوصف الأشخاص الذين يقيمون فيه.

إنّ أهميّة المكان الدمشقي في روايات الذهبي تنبعثُ من انصهاره مع المكونات الروائية الأخرى، ولا سيما مع الشخصيات والأحداث التي دخل معها في علاقات متعدّدة، ونهض بدور مؤثر على نحو كبير، ومتأثّر كذلك، جعله جزءًا لا يتجزّأ من عالم خيري الذهبي الروائي. ففي حين أخفق بعض الروائيين في ربط الأمكنة بالحوادث ومنظور الشّخصيّات أو وجهات نظرها، والنتيجة الواضحة لهذا الإخفاق هي الاكتفاء بتقديم مكان جامد لا حياة فيه، نجح خيري الذهبي في جعل المكان الدمشقي متكاتفًا مع الأحداث، يؤثّر فيها ويتأثّر بها، ويسهم في الوقت نفسه في تطوّر الشخصيات التي تحلُّ فيه أو تخترقه.

وبدت دمشق في روايات الذهبي عامّة واقعيّة حقيقية إلى حدّ بعيد، حيث حاول الروائي في مجملها أن يرصد علاقة الإنسان الدمشقي بدمشق في الفترة الممتدة من بدايات القرن العشرين حتى بدايات القرن الحادي والعشرين، وسعى إلى رسم أحيائها وشوارعها وحدائقها وبيوتها في هذه الفترة. والعارف بدمشق يدرك تمامًا صحّة ما نذهب إليه.

وقد ظهرت مدينة دمشق في عالم الذهبي الروائي بنمطيها القديم والحديث مع غلبة النمط الأوّل على الثاني، وبدا الروائي من خلال ما جاء في رواياته عاشقًا لهذه المدينة، متعلقًا فيها، وبدا هذا من وجهة النظر الإيجابية التي طغت على جلّ أعماله الروائية التي تناولت هذه المدينة.

1.3. أحياء دمشق

جعل الروائي خيري الذهبي مدينة دمشق المكان الرئيس في معظم رواياته، وبدت دمشق من خلاله مدينة قديمة عتيقة مليئة بالأزقة الضيقة، والمساجد والدكاكين ذات الطراز القديم. وقد حرص غالبًا على تسمية الأمكنة الروائية بأسماء حقيقية معروفة[15]، توحي إلى المتلقي بواقعيتها، وكأنه أراد جعل رواياته وثيقة تاريخية لهذه المدينة.

وبرزت دمشق القديمة بوصفها المكان الرئيس في رواية "حسيبة"، وما يراه القارئ على امتداد الرواية بيوتًا شعبية وحارات وأزقة ومساجد ودكاكين صغيرة، وأسواقًا للخضار والفاكهة والغزل والأقمشة والمنتجات اليدوية[16]. ويمرّ السرد في هذه الرواية ببعض الأمكنة مرورًا عابرًا مكتفيًا برسم أبرز ملامحها ولا سيما القلمون والقطيفة والجبل وبعض الأحياء الشعبية الأخرى، في حين يتوقف السرد عند بعضها الآخر ليقدمه للمتلقي على نحو تفصيلي.

افتتح الروائي رواية "حسيبة" بعبارة: "هذه هي جادة التعديل"، ثم دخل إلى هذه الجادة ليقدم تفصيل المكان فيها وما تحويه من أقواس حجرية سوداء معتمة ورطبة، ونهر القنوات، وشارع القنوات، والدكاكين، والمسجد، والمقهى لترتسم الحارة الدمشقية العتيقة، في حين يتم تشكيل المكان في أطراف المدينة، ولا سيما مناطق القلمون والقطيفة وقرية زيدان، وذلك في قول الروائي:

"ها هي جادة التعديل. همس صياح، ونظرت حسيبة إلى القوس الحجري الأسود، ومدخل الحارة نصف المعتم، وهي تجر خطواتها من ورائه ... كانا قد غادرا لتوهما القنوات، فتمنت لو يحدثها عن هؤلاء الدكنجية ... تمنت لو يحدثها عن هذا الخرير الجميل في نهر القنوات ... ها هي جادة التعديل ...ودهمها الخوف وهي تنحدر تحت الأقواس الرطبة العتمة قليلًا، ولكن أرض الجادة المرصوفة بالحجارة حمتها من الانزلاق في انحدارها من القنوات حتى التعديل. توقف أمام المسجد ... كانت أقواس التعديل واطئة حتى لتخاف

[14] إبراهيم الشبلي،"البحر في رواية (أغانتا بورينا بورياتا) لـ هاليكارناس باليكجيسي و(الشراع والعاصفة) لحنا مينة"، *مجلة كلية الإلهيات في جامعة شرناق* 27 (كانون الأول، 2021)، 74.

[15] سمر روحي الفيصل، *الرواية العربية البناء والرؤيا* (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003)، 258.

[16] مجموعة من الكتاب، *أدباء مكرمون (الروائي خيري الذهبي)* (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2006)، 99.

على رأس أيها الاصطدام بواحد منها ... كانت تمشي من خلفه تراقب الأبواب الخشبية المحفورة، المنقوشة، ومطارق النحاس الأسدية الشكل، والنسائية الملمس ..."[17].

ويقول الروائي في موضع آخر في الرواية: "حين اقتحمت الحارة متجهة إلى البيت رأت الحارة بعيون جديدة للمرة الأولى، فتلكأت، نظرت إلى الأرض المبلطة بالحجارة البازلتية السود، وأحست بالحزن، ..."[18].

وقد اعتمد الروائي على مبدأ الاستقصاء في وصف شوارع وأسواق دمشق القديمة في هذه الرواية؛ فذكر القنوات ودكاكينها ونهرها وجادتها المرصوفة حجارة بازلتية والمنحدرة إلى التعديل. وذكر جادة التعديل بمدخلها نصف المعتم ذي القوس الحجري الأسود، وأقواسها الواطئة، والكوى الموجودة في سقفها، وأرض جادتها المرصوفة بالحجارة السوداء والتي تحمي من الانزلاق، وأبوابها الخشبية المحفورة، والمنقوشة المزينة، وذكر جامع التعديل المطلّ على الجادة، والذي قامت أمامه بحرة صغيرة. وذكر الروائي أيضًا أسماء كثيرة لأسواق وأماكن ومساجد تطلّ عليها ولا سيما (باب الجابية، وسوق مدحت باشا، وسوق الحميدية، وسوق الخياطين، وجامع النورية، وسوق الحرير، وحمام القيشاني، ومدرسة القلبقجية، ومحل بكداش، والبذورية، وسيدي عامود، والسنانية، وزقاق البرغل، وجامع السباهية، وغيرها). وقد حشد الذهبي في مقطع واحد سبعة وعشرين مكانًا، وذلك في قوله:

"خرجت تخترق الأسواق ... خرجت تخترق من القنوات وعبرت من تحت القناطر، واخترقت شارع جمال باشا، ونزلت ساحة المرجة، فدارت في سوق علي باشا وسوق التبن العتيق، ثم تأملت خان الباشا بعيون لا ترى، واجتازت سوق الهال ثم عرجت على سوق ساروجة فاخترقته حتى العمارة، ثم اخترقت العمارة حتى وصلت إلى ليل سوق الحميدية فاجتازته حتى سوق النسوان ... وصلت سوق الحرير، ومنه إلى حمام القيشاني .. خرجت من القيشاني تتمايل إرهاقًا حتى وصلت القباقبية، فاجتازته إلى الصاغة، وهناك فوجئت بالأموي يفتح بابه .. دخلت الأموي، ومضت إلى ميضأة النسوان، فتوضأت ... ثم مضت إلى محراب الشافعيين، فصلت ... ثم قامت تترنح حتى قبر النبي يحيى ، فقرأت سبع فواتح، ثم طرقت رأسها بعمد القبر النحاسية وبكت .. وتأملت مئذنة العروس، مضت إلى البحرة ... وقام الحسكية يكنسون باحة المسجد الكبيرة .. فقامت تمشي مترنحة إلى باب المسكية، لبست حذاءها ومضت .. مضت تخترق ليل الحميدية فالحريقة فالدرويشية فالقنوات ..."[19].

يدلّ هذا الحشد الكبير من الأمكنة على الاهتمام الكبير الذي استحوذ عليه هذا المكان في الرواية، ويقدّم وصفًا متكاملًا عن أحياء مدينة دمشق وأسواقها القديمة.

وتبدو جادة التعديل وشارع القنوات أهم الأمكنة التي عني بها الروائي في رواية "حسيبة" التي ذكر فيها أيضًا الكثير من أحياء دمشق وأسواقها، ولا سيما حمام القيشاني، وسوق الحميدية، وباب الجابية وسوق الحرير وقبر عاتكة وسوق مدحت باشا وزقاق البرغل والشويكة وسوق الخياطين والبذورية وسيدي عامو وحمام التيروزي وباب السنانية والقناطر وشارع جاع باشا وساحة المرجة وسوق علي باشا وسوق الخيل وسوق التبن والسوق العتيق وخان الباشا وسوق الهال وسوق ساروجة وسوق النسوان والقباقبية وسوق الصاغة وحي الحريقة وحي الدرويشية وزقاق الحطب والباب الشرقي ومقهى الزرابلية.

وذكر الذهبي في رواية "حسيبة" بعض مساجد دمشق القديمة، ومنها: مسجد التعديل، وجامع السباهية وجامع النورية وجامع الأموي. وذكر من المدارس القديمة: مدرسة القلبقجية، والمدرسة الشرعية.

وتبدو عظمة مدينة دمشق وعراقتها في رواية "فياض" من خلال ما جاء على لسان (روجيه لوبلان) أحد شخصيّات هذه الرواية، وذلك في قوله: "خمسة وثلاثون عامًا وأنا أحلم بهذه المدينة الأسطورة .. إنها دمشق. دمشق سان بيير وصلاح الدين. أوه. أرجوك. يجب أن أتعرف عليها".[20]

---

[17] خيري الذهبي، *حسيبة*، ط1 (دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1987)، 5-10.

[18] الذهبي، *حسيبة*، 50.

[19] الذهبي، *حسيبة*، 194- 195.

[20] خيري الذهبي، *فياض*، ط1 (دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1990)، 41 .

وقدّم الروائي القسم العصري لمدينة دمشق في رواية "فياض" حيث بدت دمشق العصرية بفنادقها الكبيرة، ومقاصفها، ومطاعمها، وذلك في قوله: "كانا قد وصلا فندق فيكتوريا الكبير بسقوفه القرميدية الملتهبة تحت الشمس، فرأى التخلص من حرج تهتكها في الشارع".[21] وفي قوله أيضًا: "والتقوا في الشادروان، كان المكان هادئًا معزولًا وخرير بردى الهادئ يطامن من فوره التوتر ، كانا قد سبقاه إلى المكان واختارا طاولة قريبة من النهر ...".[22]

وأبرز الروائي في رواية "هشام" التغيّر الذي طرأ على مدينة دمشق من منظور شخصية (هشام)، الذي غاب عن دمشق فترة طويلة أقام خلالها في أوروبا، ثم عاد ليفاجأ بمدى الاختلاف بين دمشق التي تركها، ودمشق الحاضر، وذلك في قول الروائي: "حين استيقظ في صباح يوم الأول، وأطل من شرفة غرفته على المدينة لم يعرفها .. لا ليست هذه مدينته، ليست دمشق، أشياء كثيرة فيها تغيرت ... يا إلهي إنه شارع القوتلي تذكر الشارع جيدًا ولكن، أين تلك الأشجار العملاقة، أين أشجار الكينا التي كانت تغطي الشارع من الجانبين ..."[23].

وقدّم الروائي أيضًا التغيرات التي أصابت أحياء هذه المدينة في رواية "رقصة البهلوان الأخيرة"، ولا سيما حي القنوات الذي لم يعد كما كان، بل "تغيّر تمامًا، فما عاد ذلك الحي الهادئ الأنيق المغطى بمظلات من الخميسة واللبلاب، وما عاد هسيس نهره كما كان سابقًا.[24]

وبرزت دمشق في رواية "المدينة الأخرى" ببيوتها الواسعة التي "تتوسطها بحيرات وتغلفها شجيرات ياسمين جميلة، وعصافير ترفرف وتنزل فتغتسل في البحيرة، ثم تطير تجفف ريشها على شجرة المسك. دمشق السيارات المملوءة صبايا وشبانًا، دمشق طرق وأشجار ونهر جميل، ومقاصف تختفي تحت أشجار ضخمة من الدلب والحور والصفصاف، ومسارح ومراقص وبوتيكات ملابس أنيقة".[25] وبدت في رواية "لو لم يكن اسمها فاطمة"[26] بمآذنها وأبراج كنائسها وأسراب حمامها.[27]

يبدو احتفاء الروائي خيري الذهبي بذكر تفاصيل الأحياء الدمشقية وأسواقها وشوارعها وجلّ أماكنها العامّة، ويبدو اهتمامه بتسميّة هذه الأحياء على نحو واقعي وكأنّه يريد لها أن تخلد أمام أعين قرائه على صورتها التي رسمها في رواياته.

2.3. البيت الدمشقي

الروائي حين يُشكّل السكن في الرواية فإنه يحمّله جميع الدلالات الملازمة له، التي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور، حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصّة للعالم.[28] "ويلعب المسكن دورًا مركزيًّا في تحديد معالم الهوية الثقافية للمجتمع، فالمسكن يدلّ على ساكنه، وله دور مهم في تحديد هوية الشخوص الذين يقيمون فيه. والروائي حين يبني المسكن الروائي فإنه يجعله مناسبًا لشخصياته، وغالبًا يلجأ إلى محاكاة الواقع والبناء على منواله".[29]

ويلحظ الباحث أن الروائي خيري الذهبي عني بوصف البيت الدمشقي بنمطيه القديم والحديث، ويستطيع المتلقي أن يكوّن تصوّرًا كاملًا عن البيت القديم من مجموع المشاهد التي قدمها الذهبي في رسم بيت (أبو عزو) في رواية "ملكوت البسطاء"، وهو عبارة عن منزل يحيط به جدار خارجي له باب، وداخل الجدار بحرة تنبثق منها الماء تسقي الدالية والنباتات الموجودة في ساحة البيت، وفي الباحة وبجوار البيت توجد مصطبة ترتفع عن أرض الساحة قليلًا يقال لها (مشرقة). ويتألف البيت من مجموعة غرف ودرج ومربع

---

[21] الذهبي، *فياض*، 43.

[22] الذهبي، *فياض*، 324.

[23] خيري الذهبي، *هشام*، ط1 (دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1998)، 4-5.

[24] خيري الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، ط1 (دمشق: دار التكوين، 2008)، 267.

[25] الأحمد، *مكونات السرد وتقنياته في روايات خيري الذهبي*، 147.

[26] خيري الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة* (القاهرة: دار الهلال، 2005)، 39.

[27] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 173.

[28] حميد لحمداني، *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، ط3 (بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991)، 54.

[29] محمد الأحمد، "دوال الهوية والثقافية وتحولاتها في رواية السيرة الحلبية"، *مجلة كلية الإلهيات في جامعة بايبورت*، عدد11 (حزيران، 2020)، 103.

وفرنكة، أما أثاث البيت فيتألف من البسط وجلد الخروف، والأواني النحاسية والزبادي والأطباق الصينية، والمهد الخشبي، والديوان. وغير خاف أن تلك المفردات التي يذكرها الروائي تجهر بالطبقة الاجتماعية لقاطني البيت.[30]

ورسم الروائي البيت الدمشقي القديم الكبير الذي مثّله بيت حمدان الجوقدار، الذي فيه "مربعان كبيران وغرفة ضيوف وإيوان وفرنكة وباحة يجول بها الخيال وبحرة يستطيع السباحة فيها خمسة رجال، وشجرة مسك بكل ما تلقيه من ورق يابس أصفر وزهر ذابل، ثمره كريه، وشجرة الدراق الزهري والداليتان البلدية والحلوانية، النارنجة البلدية، وشجيرتا الياسمين البيضاء والعراتلي".[31]

وثمّة نموذج لبيت صغير ظهر في روايات الذهبي أقامت فيه (خالدية)، وجاء وصفه بقوله: "منذ ذلك اليوم أغلقت بيتها الصغير المكون من مطبخ ومرحاض إلى يمين الدهليز وباحة صغيرة فيها بحرة صغيرة تؤدي إلى المربع الأساسي غرفة معيشتها ونومها والدرج الخشبي الموصل إلى المشرقة الموصولة بممشى صغير إلى الفرنكة أدركت خالدية أنها النهاية".[32]

يلحظ الباحث أن روايات الذهبي تقف وقفات متأنية أمام البيوت العتيقة، ويشعر وهو يستعرض أبوابها الخشبية وبحراتها وغرفها وأدرجها ومربعاتها وما يتضمنه كل قسم فيها "كأنه أمام حالة وجد، وكأنّ الرواية، "وهي تصف البيت ومفرداته، تستمسك بهذا الوصف معادلًا للحرص على الهوية الاجتماعية في مواجهة طوفان التحولات التي تجري في علاقات الناس، وتطور الزمان والأحداث، وكأن بيوت دمشق الشعبية المغرقة في القدم، تمثل أساسًا للمقاومة والصمود ... إن المكان يبدو وكأنه تحول إلى أنشودة حزينة تنعي من بناه وأقام فيه، وتركه إلى مصير حزين معلوم أو مجهول".[33]

ويبدو التغير الذي طرأ على البيت الدمشقي والحداثة التي وصلها في رواية "رقصة البهلوان الأخيرة" التي رسمت البيت الدمشقي الحديث الواسع الذي يحتوي على غرف متعددة بستائر، وصالة كبيرة، ومكتبة مليئة بالكتب، وإيوان بسقوف مستعارة مزيّنة بلوحات لنساء يركن قوارب في أقنية وأنهار، ومطبخ وطاولة طعام كبيرة، وحمّام ببانيو يعمل بمؤقت زمني، ويحتوي البيت أيضًا على أرائك وكراسي فاخرة وكومبيوتر وطابعة وغيرها من أدوات حديثة تُستخدم في البيوت في عصرنا.[34]

والحقيقة أن البيت الدمشقي القديم هو على الشاكلة التي برز بها في روايات الذهبي، وثمّة بيوت قائمة إلى الآن ما زالت تحتفظ بهذا الشكل الذي وصفه. والبيت الدمشقي الحديث الذي ظهر في ورايات الذهبي يماثل كثيرًا من البيوت الدمشقية في عصرنا.

4. الأسماء

تسهم أسماء الشخصيات في الرواية في تحديد هويّة المجتمع الروائي، وتعيين نمط التفكير والسلوك للمكان الذي تنتمي إليه. وتنتمي الأسماء في الرواية العربية عامّة إلى منظومة دينية أو اجتماعية أو سياسية أو تاريخية. وثمّة منظومة أخرى تنتمي إليها بعض الأسماء الروائية، يمكننا أن نطلق عليها منظومة الأسماء المستحدثة، وهي تلك التي شاع استخدامها في بعض المجتمعات العربية الحديثة ولم تكن معروفة لديهم في الماضي.

ويبدو للباحث أن معظم أسماء الشخصيات المرتبطة بمدينة دمشق في عالم الذهبي الروائي تنتمي إلى المنظومة الدينية، ومن هذه الأسماء: يونس وحبيبه وخالد وحامد وخليل وسليمان وعبد الغني ومالك وملك وهشام وزينب وعبده وعبد الله ومريم ومنصور وصلاح وحسان وبرهان الدين والشيخ أحمد وفاطمة ومحمود ويوسف ومعاوية وياسين وغيرها كثير.

يلي هذا النوع الأسماء تلك التي تنتمي إلى المنظومة الاجتماعية، وهذه جاءت على أنواع، هي:

---

[30] خيري الذهبي، *ملكوت البسطاء*، ط1 (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1976)، 73-74، 116-117.

[31] الذهبي، *حسيبة*، 129.

[32] الذهبي، *حسيبة*، 108.

[33] مجموعة من الكتاب، *أدباء مكرمون (الروائي خيري الذهبي)*، 100.

[34] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 14، 22، 57.

- الكُنى التي تستعمل للدلالة على احترام الشخص؛ فعادةُ أهل دمشق أن ينادوا الآباء والأمهات بذكر اسم الابن الأكبر مُصدّرًا بلفظ أب أو أم[35]، ومن هذا النوع: أبو عزو وأم عزو وأبو سعيد وأبو فوزي، وأبو مسعود وأبو خليل وأبو منير وأبو صطيف وغيرهم. وهذا يضفي على الشخص احترام الآخرين له حين ينادونه بمثل هذه الكُنى كما هو مشهور لدى أهل دمشق خاصة وبلاد الشام عامّة.
- الاسم المسبوق باسم يدلّ على المكانة الاجتماعية، ومنها: الأستاذ هشام والدكتور سعيد والدكتور عبد الرحمن الشهبندر. وقد يسبق الاسم بكلمة شيخ للدلالة على رجل الدين، ومنها: الشيخ أحمد والشيخ حمزة والشيخ زين الدين والشيخ علاء الدين وغيرهم.
- الاسم الملحوق بلقب يدل على المكانة الاجتماعية، ومنها: خالدية خانم، ووسيلة خانم ونفيسة خانم وآسيا خانم وصبحية خانم وخليل بك ومنير بك ووحيد بك وصلاح بك وشكري بك وحسني بك. ويلحظ هنا أثر الثقافة التركية في هذه الأسماء؛ فالمجتمع التركي يشتهر باستخدام هذه الألقاب حين التخاطب بين أفراده.
- الاسم الملحوق بلفظة تدلّ على المهنة، ومنها: صياح المسدي وأبو مستو الخضري وأبو مسلم الحكواتي وأبو عبده الطنبرجي ومصطفى العريبني أبو عيد السمكري وأبو سعيد القصبجي وأبو مصطفى النويلاتي وأبو محمود المرابع وأبو مصطفى الخباز وعبد الله الفوال وغيرهم.
- الاسم الملحوق باسم العائلة التي تنتمي إليها الشخصية، ومنها: حسيبة الجوقدار وفياض الشيزري وحمدان الجوقدار وإياد الجوقدار. وهذه تُسمَّى النِّسبة، والنِّسبةُ اسمُ العلَم الذي تُنسَب إليه العائلة، وهو مشهور في البيئة السّورية.[36]

وثمّة أسماء تنتمي إلى المنظومة السياسية، ومما تضمنته الروايات من هذا النوع من الأسماء: المحافظ وأمين الشعبة ورئيس المركز الثقافي والمختار. وثمّة أسماء تنتمي إلى المنظومة التاريخية، ولا سيما هند ومنصور وعلاء ومروان وهشام وغسّان وجميل.

وتضمّن عالم الذهبي الدمشقي الروائي أسماء مستحدثة كثيرة، منها: لمياء ونبيل ونوال ومجدي ووداد وسمير ونجوى ودلال وأسيمة وفريال وليس وحوراء ونورا ولينا وسهير ورجاء ونادية وراضي غيرها كثير.

يبدو للباحث أن هذه الأسماء كلّها تنتمي إلى المجتمع الدمشقي الواقعي، ويبدو له أيضًا حرص الروائي على تسمية أسماء شخصيات مدينة دمشق بالأسماء الشائعة فيها؛ لأنّه يريد أن يكون عالمه الدمشقي الروائي وثيقة تاريخية تحتفظ بصورة دمشق وسكّانها في الفترة الممتدة من بدايات القرن العشرين حتى بدايات القرن الحادي والعشرين.

5. الملابس الأزياء والألبسة

ثمة ألبسة وأزياء مميّزة لكل مدينة عن مثيلاتها من المدن الأخرى، وثمّة ألبسة وأزياء تخصّ كل عصر من عصور كل مدينة. والألبسة تسهم إلى حدّ كبير في تحديد هوية الشعب الذي يرتديه، ويشير إلى معتقدات هذا الشعب وثقافته.

وعامّة يتكون زي الإنسان في المجتمعات التي تدين بدين الإسلام بألبسة فضفاضة تستر الجسم كله، حيث ترتدي المرأة لباسًا طويلًا فضفاضًا، وغطاء للرأس، وفي بعض الأحيان غطاء للوجه أيضًا. ويرتدي الرجل لباسًا فضفاضًا يستر كل جسمه، وغالبًا يضع غطاء لرأسه أيضًا. وهذا يعني أن ثمة فرقًا كبيرًا بين اللباس لدى المجتمعات الإسلامية واللباس لدى المجتمعات التي تدين بغير دين الإسلام، حيث تشكف المرأة هناك عن كثير من أعضاء جسدها لتبرز مفاتنه، ويسير معظم أفراد المجتمع ولا سيما فئة الشباب مع الموضات.

ورغم التزام كثير من الأفراد في المجتمعات الإسلامية بالزي الإسلامي فإنّ بعضهم راح ينجرف مع الموضات ويقلّد أفراد المجتمعات الأخرى، وراحت المرأة العربية ولا سيما من فئة الشابات تبرز مفاتن جسدها في الأماكن العامّة لتدلّل على حداثتها وتحررها.

---

[35] محمد الأحمد، "دوال الهوية والثقافية وتحولاتها في رواية السيرة الحلبية"، *مجلة كلية الإلهيات في جامعة بايبورت*، عدد11 (حزيران، 2020)، 103.

[36] بأكير محمد علي، *المعاني الصرفية*، ط1 (أنقرا، دار صونجاغ، 2021)، 37.

والباحث في روايات الذهبي يجد كلتا الصورتين لألبسة المجتمع الدمشقي؛ فقد برزت الأزياء الإسلامية على نحو جلي في الثلاثية من خلال ما جاء في وصف شخصية حسيبة التي بدت بالزي الإسلامي في الثلاثية، وكانت حريصة على الاحتجاب حين كانت تخرج من منزلها أو تقابل شخصًا غريبًا في منزلها.[37] وكذا هو حال معظم الشخصيات النسائية في الثلاثية، وكذا في رواية "ملكوت البسطاء" ورواية "لو لم يكن اسمها فاطمة".

وبدا التغير الذي أصاب لباس المرأة في رواية "لو لم يكن اسمها فاطمة"، وذلك حين بدأت فاطمة بالتخلي عن الزي الإسلامي رويدًا رويدًا، حيث برزت بالحجاب الرقيق "الذي لم يكن سميكًا كحجاب المسلمات المتشددات عادة، بل كان من ذلك النوع الرقيق الذي تضعه الشابات المودرن، والمستورد من فرنسا، والذي كانوا يسمونه بالجورجيت نصف الشاف ..."[38]، ثمّ صارت تخرج إلى الشارع بإشارب خفيف ومعطف غير آبهة بعيون المارة التي كانت تلاحقها حيث ذهبت.[39]

وبدا اللباس الغربي بارزًا في رواية "ليال عربية" التي برزت فيها المرأة باللباس الغربي الخالص، ولا سيما نوال التي وصفها الروائي بقوله: "وتأمل ملابسها – جاكيت من الجلد، بنطلون من البلوجينز، فبدت بشعرها الغلامي وجسمها الرشيق وملابسها هذه أقرب إلى فتى في العشرين منها إلى امرأة في أواخر الثلاثينات..."[40]. ووصفها في موضع آخر في الرواية بقوله: "كانت نوال في ثوب أخضر جعلت مقدمته على شكل مثلث تدلت زاويته القائمة فمست الأرض، وكانت خلفيته مثلثًا آخر مس الأرض بزاويته تاركًا الساقين مكشوفتين إلى ما فوق الركبة بقليل من الجانبين. أما الكُمّان فكانا فتحة عريضة التصق جانبها بالثوب، فكانت إذا تحركت ومدت ذراعيها تحولت إلى فراشة خضراء جميلة"[41]. وظهرت المرأة بالأزياء الغربية كذلك في رواية "رقصة البهلوان الأخيرة" التي برزت فيها المرأة وهي تلبس البلوزة والتايور.[42]

أما الرجل فقد بدا في بعض الروايات محافظًا على الزي التقليدي العربي، ولا سيما في الثلاثية التي ظهر فيها صياح المسدي ملتحيًا يضع على رأسه الكوفية والعقال، ويلبس شروالًا رصاصيًا، وحذاء أحمر. وظهر حمدان: "وقد لبس فوق قمبازه معطفه المحكمجي العتيق".[43] وبرز فياض: "في القمباز والمعطف المحكمجي والشال واللفة الأغبانية"[44]. وأبرزت رواية "ملكوت البسطاء" يونس وهو يلف الكوفية على عنقه أو يضعها على رأسه.[45]

وبدا التغير الذي أصاب لباس الرجل في الثلاثية من خلال وصف شخصية فياض الذي برز بالبذلة "الفرنجية وربطة العنق الكحلية والشعر المصقول الممشط شاليش مقلوبًا إلى الوراء، مدهونًا بكثير من زيت الشعر، ولحيته الحليقة".[46] وبدا التغير كذلك في رواية "لو لم يكن اسمها فاطمة" التي بدا فيها ركني البندقدار بألبسة غربية مختلفة، ولا سيما البنطلون السواري، والقميص المصوف شتاء والبوبلين صيفًا، والبدلة الرصاصية ذات القطع الثلاث، وبدلة الشاركسكسين البيضاء، وربطة عنقه الحمراء، ومعطف التويد فوق البنطال الأسود والصدرية السوداء.[47] وبرزت الألبسة الغربية لدى الرجال أيضًا في رواية "رقصة البهلوان"، التي ظهرت فيها النزة والبنطال والألبسة الغربية الخاصة بممارسة الرياضة، والألبسة الغربية الخاصة بالطبقات الاجتماعية الغنية.[48]

---

[37] الذهبي، حسيبة، 38، 44، 155.
[38] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 99.
[39] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 63.
[40] الذهبي، *ليال عربية*، 13.
[41] الذهبي، *ليال عربية*، 15.
[42] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 40.
[43] الذهبي، حسيبة، 37.
[44] الذهبي، حسيبة، 212.
[45] الذهبي، *ملكوت البسطاء*، 184.
[46] الذهبي، حسيبة، 160.
[47] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 79-81.
[48] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 5، 9، 15.

إنّ المدقق في ألبسة سكّان مدينة دمشق في روايات خيري الذهبي يجدها متنوّعة بين التقليدية المعروفة لدى المجتمع الدمشقي القديم وبين الغريبة التي ظهرت بعد الاتصال بالمجتمعات الغربية ولا سيما بعد الاحتلال الفرنسي لسوريا الذي كان له أثر بالغ في تغيير كثير من صفات المجتمع الدمشقي التقليدية.

6. المعتقدات والدين

تمثّل "المعتقدات إحدى أهم سمات الهوية الثقافية لشعب ما، والدين عنصر أساسي من عناصر الهوية الثقافية بالتأكيد، وهو عامل من العوامل الحاسمة في بناء هذه الهوية؛ لأنه يتصل بالقيم الروحية التي لا يمكن للإنسان أن تكمل إنسانيته من دونها".[49]

والباحث في عالم خيري الذهبي الدمشقي الروائي يجد أنّ الدين الإسلامي يمثّل معيارًا بارزًا للهوية الدمشقية؛ إذ برز هذا الدين بوصفه مكونًا أساسيًّا للعقيدة الدمشقية، وبرزت ممارسات هذا الدين في روايات الذهبي على نحو واضح، ولا سيما الوضوء، وإقامة الصلوات الخمس وصلاة الاستسقاء، وإقامة الأذكار والأدعية، والإيمان باليوم الآخر، والحج وتقديم الصدقات للمستحقين، وتحريم الغناء، وغيرها.

وتكاد لا تخلو رواية من روايات الذهبي التي أبرزت العالم الدمشقي من هذه الممارسات، ولا سيما رواية حسيبة التي تضمنت كثيرًا منها. فقد ذكر الروائي في هذه الرواية كيف كانت تصلي حسيبة خلف زوجها بقوله: "مضى إلى الحمام، فتوضأت في انتظاره، ثم ملأت الإبريق ثانية. صَبَّت له الماء. توضأ ... أقام لصلاة صوت خافت، بينما لبست غطاءها الأبيض والسابغ، وخراطتها الطويلة مغطية قدميها، وصلت الصبح وراءه".[50] وذكر ذهاب حسيبة إلى الجامع الأموي وقيامها بالوضوء والصلاة والدعاء هناك بقوله: "دخلت الأموي، ومضت إلى ميضأة النسوان، فتوضأت ... ثم مضت إلى محراب الشافعيين، فصلت ... ثم قامت تترنح حتى قبر النبي يحيى ، فقرأت سبع فواتح، ثم طرقت رأسها بعمد القبر النحاسية وبكت"[51]. وذكر الروائي في هذه الرواية الموقف الديني السائد لأهل مدينة دمشق الذي يرفض الغناء والموسيقا[52]، وأبرز الروائي الطرق الصوفية لدى سكّان مدينة دمشق، وذلك حين لجأت حسيبة إلى شيخ إحدى الطرق الصوفية لمساعدتها في إنجاب طفل يرث عائلة الجوقدار، وأبرز أيضًا ممارسات جماعة هذه الطريقة لمساعدة حسيبة.[53]

وتضمّنت رواية "ملكوت البسطاء" أهميّة معرفة قراءة القرآن لدى المجتمع الدمشقي، وذلك من خلال شخصية يونس الذي كان يجيد قراءة القرآن[54]، وتضمّنت هذه الرواية أيضًا الإيمان باليوم الآخر، وذلك في قول يونس: "احذر يا سعيد. لقد قال لنا الشيخ أنك إن لم تصلها الآن حاضرة فسوف تصليها غدًا على بلاط جهنم".[55]

وذكر الروائي في رواية "الإصبع السادسة" صلاة الاستسقاء[56]، وأداء فريضة الصلاة وفريضة الحج.[57] وأشار الروائي في رواية "رقصة البهلوان" إلى اهتمام المجتمع الدمشقي بالدعاء والصلوات والصدقات بغية الوصول إلى الجنة.[58]

يبدو للمتلقي أن المجتمع الدمشقي في عالم خيري الذهبي الروائي يدين بدين الإسلام، الذي دفع أفراد إلى التعاون فيما بينهم لقضاء الحاجات، وبرز هذا الدين بوصفه ملجأ معظم الشخصيات الروائية التي واجهت ظروفًا حياتية صعبة.

ومدينة دمشق في الواقع كما بدت في روايات الذهبي، يغلب على سكانها دين الإسلام، ويمارس معظم سكان هذه المدينة شعائر الدين الإسلامي من صلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها، ويؤمنون عامّة بالقضاء والقدر والحساب وغيرها مما يؤمن به المسلمون عامّة.

---

[49] الأحمد، "دوال الهوية والثقافية وتحولاتها في رواية السيرة الحلبية"، 106.
[50] الذهبي، *حسيبة*، 44.
[51] الذهبي، *حسيبة*، 194- 195.
[52] الذهبي، *حسيبة*، 129.
[53] الذهبي، *حسيبة*، 93.
[54] الذهبي، *ملكوت البسطاء*، 12، 35.
[55] الذهبي، *ملكوت البسطاء*، 21.
[56] الذهبي، *الإصبع السادسة*، 37.
[57] الذهبي، *الإصبع السادسة*، 85.
[58] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 132.

7. الأطعمة والأشربة

إن لكل مجتمع أطعمة ينفرد بها عن غيره، وله ثقافة مميّزة في إعداد أطعمته وطريقة تناولها؛ لهذا يسهم الطعام في تحديد هوية المجتمع والمكان الذي ينتمي إليه هذا المجتمع. والروائي حين يسعى إلى استحضار أطعمة شخصياته وأشربتهم داخل الرواية فإنّه يسعى إلى إكمال بناء شخصياته وبناء روايته من جهة، وإلى كشف أبعاد معينة داخل السّياق الروائي من جهة أخرى.

يلحظ الباحث أنّ الذهبي عرض في عالمه الدمشقي الروائي كثيرًا من أصناف الأطعمة والأشربة، ويبدو له أن الروائي لم يقدّم هذه الأطعمة والأشربة للإيهام بالواقع السردي فحسب، بل لأن هذه الأطعمة والأشربة تمثّل الواقع الحقيقي للمجتمع الدمشقي الذي أراد الروائي التعبير عنه. ويبدو التركيز على الأطعمة التي اشتهر أهل دمشق بتخزينها لفصل الشتاء أو لمقاومة ظروف الحياة الصعبة التي كثيرًا ما تواجه سكّان مدينة دمشق، ولا سيما تلك التي تطرأ زمن الحروب والأمراض؛ لهذا يجد الباحث أن بيت المؤونة الدمشقي مليء بأصناف الطعام التي يمكن تخزينها، والتي تتفنن المرأة الدمشقية في حفظها بطرق متعددة تجعل الواحدة منهن تتفاخر أمام الأخريات بتفوقّها المعرفي في إعداد الطعام للحفظ، وبكمية الأطعمة التي استطاعت تخزينها في بيت مؤونتها. كل هذا يضع المتلقي أمام ثقافة المجتمع الدمشقي في الأطعمة والأشربة.

وقد ذكر الروائي في رواية "رقصة البهلوان الأخيرة" كيف تُعدّ نساء مدينة دمشق الأطعمة للتخزين بقوله: "كن جميعًا متفقات على هذا الفرح، وكن يتسابقن ويتساعدن في تجفيف الخضار، وشكّها بالخيوط، وتعليقها حتى أيام الندرة أو الجوع. كن يتسابقن في ملء الجرار بالزيتون والزيت، والمكدوس والمربيات، وكان البرغل زاد العائلات جميعًا، وكانت نادرة تساعد في تنقيته، وتصويله، وسلقه وجرشه ...". [59] وذكر الروائي ما قامت به أم راضي لتخزين الطعام بقوله: "فمضت مع زوجها إلى بيت الصيفية في داريا تستكمل قطاف المشمش للمربى، والحصرم للعصير، وورق العنب للكبيس في انتظار نضج العنب والتفاح واللوز وقمح البرغل ...".[60] ووصف الروائي في هذه الرواية البيت الدمشقي المكتمل بطعام التخزين بقوله: "كان كريمًا، فلم ينقص البيت يومًا شيء، وغرفة المونة تشهد بجرار زيتها، وصفائح سمنها، وأكياس برغلها، وصفائح القاورما، ومشاكيك الرمان، وجرار الجوز ... فقد كان في بيت المونة كل شيء. سوق خضرة مصغّرة. البرتقال المكوّم في موسم البرتقال، والبطيخ المركون في الزاوية، والتفاح ...".[61]

وأشار الروائي في رواية "لو لم يكن اسمها فاطمة" إلى حرص فاطمة على تعلّم إعداد الطعام للتخزين والاستهلاك لأهميّته في المجتمع الدمشقي بقوله: "وتعلمت حفظ المونة حتى صار بيت مونتها ... الأغنى والأجمل والأكثر طمأنة على قادمات الأيام. فكنت ترى فيه قطرميزات الزيتون والمكدوس ومربة المشمش والتين والتفاح ...". [62] وذكر الروائي حرص فاطمة حرصها على تعلّم إعداد أصعب أنواع المربيّات لدى المجتمع الدمشقي بقوله: "فهي تعرف أن مربى الباذنجان أصعب أنواع المربيات، وقليلات من النساء من يعرفن صنعه، أما أن يحشى باللوز والفستق، ويحلى بماء الورد".[63]

وقدّم الذهبي بعض وجبات المجتمع الدمشقي، فوصف إحدى وجبات الأسر الدمشقية الفقيرة في رواية "ملكوت البسطاء" بقوله: "وضعت الصينية النحاسية على الأرض ثم وضعت في منتصفها صحن الخبيزة الكبير وفي طبق آخر وضعت مخلل الباذنجان المحشو بالثوم والفلفل وفي طبق نحاسي عميق وضعت سلطة القرة والبقلة والفجل"[64]. ووصف الروائي مائدة إحدى الأسر الغنية في رواية "رقصة البهلوان الأخيرة" بقوله: "كان الغداء، وكانت السلطة والشوربة على الطاولة الكبيرة، وكانت الصحون موزعة في انتظاره ...". [65]

وتضمّن عالم الذهبي الدمشقي الروائي بعض الأطعمة الدمشقية ولا سيما رؤوس الغنم، والصفيحة أو اللحم المفروم المشوي، والكبة المقلية، والكبة المشوية، والكبة النية، والمجدرة، والزيت والزعتر. ومن السلطات: "السلطة الخضراء، وسلطة اللبن بالخيار.

---

[59] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 112.
[60] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 120.
[61] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 84.
[62] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 84.
[63] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 85.
[64] الذهبي، *ملكوت البسطاء*، 11.
[65] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 40.

وتضمّن بعض أنواع الخضار والفواكه المشهورة في مدينة دمشق ولا سيما المشمش والعنب والكمثرى والتفاح والبرتقال، والبندورة والباذنجان والكوسا والقرع وغيرها. وتضمّن أيضًا بعض الحلوى ولا سيما القضامة بالسكر، بالإضافة إلى المرطبات، ولا سيما البوظة، والآيس كريم، والدندرمة وغيرها من المثلجات.

وبدا المجتمع الدمشقي محتفيًا بشرب القهوة على عادة سكّان بلاد الشام عامّة، حيث يبدأ الإنسان حياته بشرب فنجان من القهوة، وتقدّم القهوة في جميع المناسبات، ولا سيما في الزيارات التي لا يجوز أن تخلو من شربها. وبرز مشروب القهوة بالحليب في رواية "رقصة البهلوان الأخيرة[66]، بالإضافة إلى بعض المشروبات التي ظهرت لدى المجتمع الدمشقي المعاصر ولا سيما النسكافيه.[67]

8. الأمثال والحكايات الشعبية

تتيح الرواية إمكانية "استيعاب موروثات البيئة المحلية، وتحويلها إلى عناصر سردية، كالأغاني الشعبية، والحكايات، والمواويل، والأمثال، والعادات والتقاليد الخاصة بالبيئة المحلية".[68] ويُعدُّ المثل أهم أشكال الأدب الشعبي وأكثرها حضورًا في الفنّ الروائي؛ لأنّه يمثّل خلاصة تجربة إنسانية، ويمتاز بسمات إيجاز العبارة، وتكثيف المعنى، والشيوع والإقناع، والسيرورة والتداول بين الناس التي تؤهّله ليكون قاعدة يُحتجُّ بها وبرهانًا لهذه القاعدة في الوقت نفسه[69]؛ فالمثل كلام موجز مؤكّد للمعنى على نحو حاسم. وتسهم الأمثال التي تدور على ألسنة المجتمع الروائي في تحديد هويّة هذا المجتمع وإبراز بعض سماته الثقافية.

والمتتبع للمجتمع الدمشقي في عالم خيري الذهبي الروائي يجد كثيرًا من الأمثال التي دارت على ألسنة أفراد هذا المجتمع. ولعلّ رواية "رقصة البهلوان الأخيرة" حازت القدر الأكبر من هذه الأمثال، ومنها: "الزبون على حق، ونحن في خدمة الزبون"[70]، و"إذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا"[71]، ويستطيع "فك المشنوق"[72]، و"مصائب قوم عند قوم فوائد"[73]، و"لم تعلمهم الأيام الحكمة والوقار بعد"[74]، و"هذه المرأة أحلّها سيفي"[75]؛ أي أسقطت الحرب تحريمها، و"ثم يخلق الله ما لا تعلمون"[76]، و"ما هو كائن كائن ... والمقدر لا مهرب منه .."[77]، و"ما نهاية الانتظار إلا الفرج"[78]، و"الجوع كافر"[79]، و"زوج من خيطان أغيض به الجيران"[80]، و"كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون"[81]، و"سبحان الخالق فيما خلق."[82]

وثمّة أمثال وردت في الروايات الأخرى، منها: "لا يفرد وجهه للرغيف السخن"[83]، و"إن الزير وعنترة لا يزالان البطلين في وجداننا الشعبي"[84]، و"الدراهم كالمراهم"[85]، و"رزق البله في المجانين"[86]، و"لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق."[87]

---

[66] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 8.

[67] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 14.

[68] سليمان طعّان، "السيرة الذاتية ومفردات الهوية الثقافية رواية الحزام نموذجًا"، *مجلة كلية الإلهيات في جامعة جوكوروفا* 2/19 (كانون الثاني 2019)، 589.

[69] محمود قدوم، *نحو النص ذي الجملة الواحدة: دراسة تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني*، ط1 (الرياض: مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015)، 65-66.

[70] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 98.

[71] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 19.

[72] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 11.

[73] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 11.

[74] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 17.

[75] الذهبي، رقصة البهلوان الأخيرة، 127.

[76] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 118.

[77] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 158.

[78] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 159.

[79] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 169.

[80] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 191.

[81] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 227.

[82] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 259.

[83] الذهبي، *حسيبة*، 130.

[84] الذهبي، *ليال عربية*، 13.

[85] الذهبي، *ليال عربية*، 17.

ويلحظ الباحث أن معظم هذه الأمثال ذات مرجع ديني إسلامي، وهذا مؤشّر إلى أهمية هذا الدين لدى المجتمع الدمشقي الذي يجعل معظم جوانب حياته على اتصال مباشر معه.

إن هذه الأمثال التي أوردها الروائي في رواياته تضع متلقيه أمام ثقافة المجتمع الدمشقي وطريقة تفكير أفراده وتعاملهم مع بعضهم بعضًا من جهة، ومع الآخرين من جهة أخرى.

9. العادات والتقاليد

ثمة دور بارز للعادات والتقاليد في تحديد هوية المجتمعات، وهي تندرج ضمن دوال الهوية الثقافية التي تتشكّل من خليط من الأعراف والتقاليد بالإضافة إلى ما يمتاز به هذا المجتمع من خصوصيّات تميّزه عن غيره من المجتمعات.

وعالم خيري الذهبي الروائي أبرز كثيرًا من عادات المجتمع الدمشقي وتقاليده، ومن هذه العادات عادة نداء الشخصيات بأب أو أم مضافًا إليها اسم الابن الأكبر: مثل: أبو عزو، أم عزو، أبو سعيد، أبو فوزي وغيرها. وهذه الطريقة في النداء تهدف إلى احترام وتوقير الشخص المنادى في المجتمعات العربية.

وأبرز الذهبي عادة الزوج في هذا المجتمع حين يدخل بيته بعد العمل أو بعد الخروج لقضاء حوائج البيت في قوله: "كان يعرف الزواج رجلًا عابسًا يتنحنح داخلًا البيت، متبوعًا بصبي يحمل حاجات البيت، فتسرع الزوجة ونساء البيت إلى تناول ما يحمل الصبي، وباستقبال رجل البيت بالتأهيل والترحيب إلى جانب البحرة حيث يخلع حذاءه في وقار ...".[88]

وثمّة عادات ذات منشأ ديني برزت في عالم الذهبي الدمشقي الروائي، ولا سيما عادة قراءة القرآن على الميت التي برزت في رواية "الإصبع السادسة".[89] وعادة ضيافة القهوة في مدينة دمشق ظهرت على نحو لافت في روايات خيري الذهبي، وهذه العادة تفرض على المضيف تقديم القهوة للضيف، وإن كان المضيف على قدر عال من الأهمية فالمضيف يصبّ القهوة بنفسه ويقدّمها للضيف، وهو ما أفصحت عنه رواية "لو لم يكن اسمها فاطمة" التي ذكر فيها سلمان كيف قدّم له معاوية القهوة بقوله: "وقام بصب القهوة المرّة لي من مصبّ خاص إلى جانب مكتبه، كان تقديم القهوة شخصيًا تكريمًا أعرف قيمته منذ كنت مع ركني في المدينة الميتة والبادية ...".[90]

وبرزت عادة احتفاء المجتمع الدمشقي بتعليم أبنائه القراءة والكتابة والحساب بطرق تقليدية كانت سائدة في النصف الأول من القرن العشرين في سوريا في رواية "لو لم يكن اسمها فاطمة"[91]، وبرزت أيضًا عادة احتفاء هذا المجتمع بتحفيظ البنات القرآن الكريم وتعليمهنّ التطريز في رواية "حسيبة".[92] وذكر الروائي في هذه الرواية عادة السيران لدى المجتمع الدمشقي بقوله: "ذكرت أول سيران لها مع حمدان وصياح وخالدية والمعلاقين المتبلين المجهزين، واللحم المفروم للكباب والبطيختين ... وذكرت الدهشة والفرحة اللتين ملأتاها وهي تخرج لهذا السيران".[93] ووصف الروائي عادة المجتمع الدمشقي في تعامله مع المرأة المطلقة بقوله: "صبية في السادسة عشرة لم تعرف الزواج إلا لسنتين، ثم يحكم الزمان بالطلاق فالعزلة، فحصار الجيران، كل الجيران، النساء يخفن على أزواجهن من المطلقة الجريئة فيبتعدن عن معاضرتها، والصبايا البريئات لا يجب إفسادهن بمعاضرة مطلقة عرفت الكثير عن الحياة، والعجائز مشغولات عني بتطريزهن وقططهن وأصص زريعتهن، وبدروس الحاجة سعاد".[94]

---

[86] خيري الذهبي، *الإصبع السادسة*، ط1 (القاهرة: درا ميريت، 2012)، 66.
[87] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 146.
[88] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 83.
[89] الذهبي، *الإصبع السادسة*، 7.
[90] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 58.
[91] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 77.
[92] الذهبي، *حسيبة*، 134.
[93] الذهبي، *حسيبة*، 131.
[94] الذهبي، *حسيبة*، 64.

وثمّة عادة في المجتمع الدمشقي ترتبط بلباس أصحاب الدكاكين برزت في الثلاثية، وهي لبس القمباز والمعطف المحكمجي والشال والعمامة الأغبانية.[95]

وأبرز الكاتب التغيرات التي أصابت هذا المجتمع، ومنها فقدان الرجل بعض الخدمات التي كان يتوجب على المرآة تقديمها له، وهذا ما برز في وراية "لو لم يكن اسمها فاطمة" التي استطاعت فيها فاطمة "أن تفرض قوانينها على ركني وعلى البيت في عدم تقديم البيجامة لركني، أو حمل المنشفة له بعد تنظفه، ولم تكتف بهذا، بل فرضت مجالسته على الطاولة المستحدثة في البيت لتناول الغداء".[96] ووصلت التغيرات في المجتمع الدمشقي في هذه الرواية إلى حدّ ظهور النساء سافرات أمام الرجال، وذلك في قول الروائي: "دخل الخال ليجدها مع صديقتها مسرة واثنتين من صديقاتها، فارتبك، وتلجلج في حضور النساء السافرات اللواتي لم يألف سفورهنّ من قبل".[97]

بالإضافة إلى ظهور عادات جديدة، ولا سيما عادة بائع المبردات المتجوّل في الصيف التي ظهرت في رواية "رقصة البهلوان الأخيرة"، وذلك في قوله الروائي: "كان أمجد بائع البوظة في الحارة يهتف: وهي الأصلية الياسكا .. ولما اقترب منه سأله عن نوع الآيس كريم التي يبيعها أجابه في فخر: أمية ...".[98]

يلحظ الباحث أن معظم العادات الذي تضمّنتها المتون السرديّة للذهبي ترتبط بالمجتمعات العربية المسلمة، وبعضها على علاقة مباشرة بالدين، ويلحظ أيضًا التغيرات التي أصابتها، وأدّت إلى أفول بعضها لتبرز مكانها عادات جديدة إما بسبب التمرّد على العادات القديمة، ولا سيما تمرّد المرأة، أو بسبب العلاقة مع الغرب.

خاتمة

أولى الروائي خيري الذهبي مدينة دمشق في الفترة الممتدة بين بدايات القرن العشرين حتى بدايات القرن الحادي والعشرين أهمية خاصة في عالمه الروائي، فجعلها المكان الذي تتحرّك فيه معظم الشخصيات في رواياته، وتدور فيه معظم الأحداث، وركّز على وصف جلّ أمكنتها، ولا سيما أحياؤها وبيوتها بأنواعها القديمة والحديثة، بالإضافة إلى كثير من أماكن هذه المدينة العريقة. وعني الروائي بذكر أسماء أحياء هذه المدينة ووصفها كما هي في الواقع، وعني أيضًا بوصف البيت الدمشقي كما هو معروف لدى المجتمع الدمشقي.

وحرص في بناء عالمه الدمشقي الروائي على استخدام أسماء لشخصياته من واقع المجتمع الدمشقي، وأبرزهم بألبستهم ومعتقداتهم وأطعمتهم وأشربتهم وعاداتهم وتقاليدهم والأمثال والحكايات الشعبية التي تدور بينهم على نحو يتكئ في جزء كبير منه على واقع حياة الناس في مدينة دمشق.

وما يجب الانتباه إليه أن الذهبي حين وثّق مدينة دمشق روائيًّا لم يوثقها في روايات تاريخية، بل وثّقها في روايات تتضمّن تاريخًا يوازي التاريخ الحقيقي، روايات تستند على جزء من التاريخ ليبني لنفسه عالما آخر، ولشخوص رواياته حقيقة أخرى مدهشة تتشابه مع التاريخ إلى حدٍّ بعيد.

ومن هنا يمكننا القول: إن الروائي خيري الذهبي رسم مدينة دمشق روائيًّا على نحو يتشابه مع حقيقتها في الفترة الممتدة بين أوائل القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، واستطاع من خلال ما جاء في رواياته عن هذه المدينة تقديمها إلى المتلقي ليس بأشكال أبنيتها وبيوتها وذكر أسماء الناس فيها فحسب، بل أيضًا بالروح التي تمتاز بها هذه المدينة، وبالفكر الذي تحمله، وبعواطف ساكنيها وأحاسيسهم.

المراجع

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله أبو القاسم الدمشقي الشافعي. *تاريخ مدينة دمشق*، تحق. محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.

[95] الذهبي، *حسيبة*، 37، 212، 223.
[96] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 83.
[97] الذهبي، *لو لم يكن اسمها فاطمة*، 93.
[98] الذهبي، *رقصة البهلوان الأخيرة*، 57.

ألبريس، ر. م. *الاتّجاهات الأدبيّة في القرن العشرين*، ترج. جورج طرابيشي. بيروت: منشورات عويدات، 1965.

الأحمد، محمد. *مكونات السرد وتقنياته في روايات خيري الذهبي*. إسطنبول: كتابي، 2021.

الأحمد، محمد. "دوال الهوية الثقافية وتحولاتها في رواية السيرة الحلبية". *مجلة كلية الإلهيات في جامعة بايبورت*. عدد11 (حزيران، 2020): 97-116.

بحراويّ، حسن. *بنية الشّكل الروائيّ*. ط2. بيروت: المركز الثقافيّ العربيّ، 2009.

الذهبي، خيري. *ملكوت البسطاء*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1976.

الذهبي، خيري. *حسيبة*. دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1987.

الذهبي، خيري. *فياض*. دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1990.

الذهبي، خيري. *هشام*. دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1998.

الذهبي، خيري. *لو لم يكن اسمها فاطمة*. القاهرة: دار الهلال، 2005.

الذهبي، خيري. *رقصة البهلوان الأخيرة*. دمشق: دار التكوين، 2008.

الذهبي، خيري. *الإصبع السادسة*. القاهرة: دار ميريت، 2012.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا، خيري الذهبي،

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%8A%D8%B1%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%8D8%A8%D9%8A. يناير 2023، 18:59

الشبلي، إبراهيم. "البحر في رواية (أغانتا بورينا بورياناتا) لـ هاليكارناس باليكجيسي و(الشراع والعاصفة) لحنا مينة". *مجلة كلية الإلهيات في جامعة شرناق*. عدد 27 (كانون الأول، 2021): 65-84.

طعّان، سليمان. "السيرة الذاتية ومفردات الهوية الثقافية رواية الحزام نموذجًا"، *مجلة كلية الإلهيات في جامعة جوكوروفا* 2/19 (كانون الثاني، 2019)، 589.

الفيصل، سمر روحي. *الرواية العربية البناء والرؤيا*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003.

قدوم، محمود. *نحو النص ذي الجملة الواحدة: دراسة تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني*. الرياض: مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015.

مجموعة من الكتاب. *أدباء مكرمون (الروائي خيري الذهبي)*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2006.

محمد علي، باكير. *المعاني الصرفية*. ط1. أنقرا، دار صونجاغ، 2021.

لحمداني، حميد. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991.

KAYNAKÇA

Alahmad, Mohamad. *Hayrî Zehebî'nin Romanlarında Anlatım Unsurları Ve Teknikleri*. İstanbul: Kitâbî yayınları, 2021.

Alepris, R. M. *el-İ't-Ticâtu'n-Nekdiyye fi'l-Karni'l-'İşrîn*. çev. George Tarâbîşî. Beyrut: Meşûrâtu 'Uveydât, 1965.

Alşibli, İbrahim. "el-Bahru fî Rivâyeti Aganta Burina Burinata li Halikarnas Balıkçısı ve'ş-Şirâ' ve'l-'Âsife li Hannâ Mînâ". *Şırnak Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 27 (Aralık, 2021): 65-84.

Bahrâvî, Hasan. *Bunyetu'ş-şekli'r-rivâ'î*, 2. Basım. Beyrut: el-Merkezü's-sekâfî'l-'Arabiyyî, 2009.

Feysal, Semar Ruhî. *Bina'u'r-Rivayeti'l-'Arabiyyeti's-Sûriyye*, DimaĢk: MenĢurâtu Ġttihadi'l-Küttabi'l-„Arab. 1995.

İbn Asakir, Ali bin el-Hasan bin Hibetullah bin Abdullah bin el-Hasan Ebu'l-Kasım ed-Dımeşki eş-Şafii. *Târîhu Medîneti Dimeşk*. thk. Muhibbu'd-Dîn Ebû Said Ömer b. Ğarâmet'l-'Ammûrî. Beyrut: Dâru'l-Fikr li't-Tibâa ve'n-Neşr ve't-Tevzi', 1995.

Ḳaddūm, Mahmūd. *Naḥvu'n-Naṣ Ẕī el-Cumleti'l-Vāḥide*. Riyaḍ: Merkezu'l-Melik ʿAbdullāh b. ʿAbdilʿazīz, 2015.

Lhamdânî, Hamîd. Bunyetu *el-Nas el-Serdî min Menzûr el-Nakd el-Edebî*. Beyrut: el-Merkez el-Sekāfî el-Arabî, 1991.

Mecmû'a Mine'l-Udebâ'. Udebâ Mükerremûn. Dimeşk: İttihâdü'l-Küttâbi'l-Arap, 2006.

Mehmetali, Bekir. *Vazîfetu'l-Anâsiri'n-Nahviyye.* 1. Basım. Ankara: İlahiyatyayin. 2020.

Mohamad Alahmad. "Halep Biyografisi" Romanındaki Kültürel Kimlik Delilleri ve Dönüşümleri. *Bayburt Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi.* 11 (Haziran, 2020): 97-116.

Taan, Sulaiman. "el-Sîratu'z-Zêtiyye ve Mufredêtu'l-Haviyye el-Sakâfiyye Rivâyetu'l-Ahzêm Nemûzacen". *Çukurova İlâhiyat Fakültesi Dergisi* 19/2 (Aralık 2019): 587-602.

Vikipedia. Hayrî Zehebî. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%8A%D8%B1%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A. 8 Ocak 2023, 18:59

Zehebî, Hayrî. e*l-Isba'ü's-Sâdise*. Kahira: Dâru Mîrît, 2012.

Zehebî, Hayrî. *Feyyâd*. Dimeşk: İttihâdü'l-Küttâbi'l-Arap, 1990.

Zehebî, Hayrî. *Hasîbe*. Dimeşk: İttihâdü'l-Küttâbi'l-Arap, 1987.

Zehebî, Hayrî. *Hişâm*. Dimeşk: İttihâdü'l-Küttâbi'l-Arap, 1998.

Zehebî, Hayrî. *Melekûtu'l-Büsatâ*. Dimeşk: İttihâdü'l-Küttâbi'l-Arap, 1976.

Zehebî, Hayrî. *Raksatü'l-Behşevân*. Dimeşk: Dâru't-Tekvîn, 2008.

Zehebî, Hayrî.*Lev Lem Yekün İsmühâ Fatima*. Kahira: Dâru'l-Hilâl, 2005.

STRUCTURED ABSTRACT

Damascus is one of the prominent cities that has played a starring role in other works of Arabic fiction, as it has emerged as a great city with its nobility, authentic history, and distinguished buildings. The novelist Khairy Al-Dhahabi is one of the most influential writers who gave this city importance in his novels. In Al-Dhahabi's novels, Damascus in general seemed very realistic and real, as the novelist tried in its entirety to monitor the relationship of the Damascene person with Damascus in the period extending from the early twentieth century until the early twenty-first century. In this period, he sought to draw its neighborhoods, streets, gardens, and homes. The city of Damascus appeared in Al-Dhahabi's novelist world in ancient and modern styles, with the first style predominating over the second. Through what was stated in his novels, the novelist appeared to be in love with this city and attached to it. The novelist's love of Damascus appeared from a positive point of view, which dominated most of his fictional works that dealt with this city. It seems that Khairy Al-Dhahabi, the novelist, in his novel Damascene World, was interested in describing the Damascene house in its ancient and modern styles. He provided a detailed description of the ancient houses and explained the change that the Damascene house witnessed and the modernity it achieved in the modern era. The novelist was keen to name the names of the characters in the city of Damascus with the familiar names in it. The novelist varied the characters' clothing between the traditional ones known to the old Damascene society and the Western ones that appeared after contact with Western societies, especially after the French occupation of Syria, which profoundly changed many of the traditional characteristics of Damascene society. The researcher in the novelist world of Khairy al-Dhahabi al-Dimashqi finds that the Islamic religion represents a prominent criterion for Damascene identity. This religion emerged as an essential component of the Damascene faith, and the practices of this religion appeared clearly in Al-Dhahabi's novels. The researcher also notes that Al-Dhahabi presented many types of foods and drinks in his Damascene novelistic World. It seems to him that the novelist did not Show these foods and drinks only to create the illusion of narrative reality, but because these foods and drinks represent the actual reality of Damascene society that the novelist wanted to express. The novelist Khairy Al-Dhahabi highlighted many of the customs and traditions of Damascene society, and most of these customs are related to Arab Muslim societies, and some are directly related to religion. The novelist explained some of the changes that afflicted Damascene society, which led to the shift of some of its customs and new customs to emerge in their place, either because of rebellion against old customs, especially the rebellion of women, or because of the relationship with the West. One of the most important results that can be mentioned in this research is that the novelist Khairy Al-Dhahabi gave the city of Damascus, in the period extending from the beginning of the twentieth century to the start of the twenty-first century, special importance in his fictional world. He made it where most of the characters in his novels move and where most of the events occur. He described most of its places, especially its ancient neighborhoods, which he mentioned by their names in reality, and described them as in reality as well. In building his Damascene fictional world, the novelist was keen to use names for his characters from the reality of Damascene society, and highlighted them by their clothes, beliefs, foods, drinks, customs, traditions, proverbs, and popular stories that circulate among them in a way that depends in large part on the reality of people's lives in the city of Damascus. It can be said that the novelist Khairy Al-Dhahabi believes that his fictional Damascene World is a historical document that preserves the image of Damascus and its inhabitants in the period extending from the beginning of the twentieth century until the start of the twenty-first century.